عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) حضور يمتد فينا وبنا

على مدى نصف قرن من تاريخ الشعب الفلسطيني كون صوت أبي سلمى ونشاطه السياسي والاجتماعي حضوراً رافق مسيرة هذا الشعب والتزم بها؛ فكان المؤنس في زمن الجفاف والحادي في المسيرات الشاقة، وكان الرائد في أكثر من مجال، وخصوصاً في مجال ربط الشعر الفلسطيني بالقضية الاجتماعية التقدمية بعد أن ربطه كثيرون، وبضمنهم أبو سلمى، بالقضية الوطنية.

والذين اكتسوا بالزغب في ظل هذا الحضور، من تخلف منهم عنه ومن انطلق إلى الأبعد، يعرفون أن للرجل عليهم فضل الريادة ويعترفون بها. وقد كان بالنسبة للأجيال المتعاقبة من مبدعي الثقافة الفلسطينية المعاصرة المصباح الذي يشع النور والدفء معاً، وإن ظل في حياته متواضعاً لا يدل على أحد ولا يتنطح لأي ادعاء ولا يستدرج الدعاية لنفسه عبر الشللية، يتمسك بما لديه ولا ينكر مجهود الآخرين، يعيش عمره ويتم جيله ويفهم المعاصر ويستطيبه، يتعامل مع من في سنه ومع من تفصله عنهم عقود طويلة من السنين بالمستوى ذاته من الألفة والحدب.

وفي غضون ذلك كله، ظل يحمل قضية الوطن ويلوب به هنا وهناك من غير أن يعلن هما سوى همه. وما أقل الذين يعرفون همومه الشخصية، وما أقل الذين من بينهم أطلعوا عليها منه.

وحين انتهى الجميع إلى الإقرار ببعض ما له، ورشحوه للجائزة الدولية التي ظفر بها من اتحاد كتّاب آسيا وأفريقيا، رأيناه أكبر منها! فإذا التكريم يحمله على بذل المزيد من الجهد في الحقل الوطني وهو الذي تجاوز السبعين وعانى ما فاض خلالها من مرارات، وإذا به ينخرط في العمل التنظيمي للاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ويغدو واحداً من نشطاء جمعية الصداقة الفلسطينية – السوفياتية، وذلك بهمّة يحسدُه عليها أكثر شباب الساحة الوطنية فتوة.

وما هو يغيب الآن، فما أبأس فقر الكلمات حين ندرك عجزها عن الإلمام بالمشاعر! تعتصرنا المرارة فنقول متأسين: إنه قد آن للوتر الذي ظل مشدوداً طيلة سبعة عقود أن يستريح. ونفتقد أُنسه وهديه فنعود لنقول: ماذا لو زادنا، نحن الذين ألفنا أن نأخذ منه حتى نسينا أنه قد يكون بحاجة لشيء!.

أيها العزيز، ها نحن ندرك على نحو أعمق كم أحببناك، ولعلك تثق بأن حضورك يمتد فينا وبنا، وتستريح بعد أن طال العناء.

فيصل حوراني